

"بيروت" ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٢

من يوم الى يوم

الأستاذ شيحا واللغة العربية

عالج مفكرنا الكبير الأستاذ ميشال شيحا أمس في مقاله الإفتتاحي بالزميلة "لوجور" موضوعاً شائكاً بالنسبة اليه. قيل من يريد الخوض في اللغة العربية لينتقد مصطلحاتها ومشتقاتها أن يكون على الأقل ملماً بأسرارها، خبيراً بمسالكها. والمتعارف بين الناس أن الأستاذ شيحا لا يحسن العربية، بدليل أنه يكتب ويحاضر بالفرنسية فقط. أما إذا كان يحسنها من حيث لا ندري، فالمصيبة أعظم، لأننا إذا اعتزنا به كاتباً لبنانياً باللغة الفرنسية، ينشر الإشعاع اللبناني على الناطقين بهذه اللغة، فنحن لا نستطيع أن نغفر له محاضراته بين قومه بلغة أجنبية. واندرية موروا مثلاً الذي يؤلف ويحاضر في اميركا وانكلترا بالإنكليزية، لا يسمح لنفسه أن يحاضر الفرنسيين ويكتب للفرنسيين بلغة شكسبير...

وإذا كان الأستاذ شيحا يحسن العربية فقد كان أولى به – لا سيما وهو ينتقد الأساليب العربية – أن يفعل ذلك بهذه اللغة، ويعطي المثل الصالح في ارشاد أبناء العربية الى الأسلوب العصري الأفضل أما وإنه لم يفعل، فمن حقنا أن نرفض الإنتقاد، ونعتبر الأستاذ شيحا غير مختص في الموضوع.

لغة "البادشاه" !

يقول زميلنا الكبير إن شرطاً من شروط النهضة والإنعاش في البلدان العربية، قد يكون في الخلاص من الإفتتاح الملازم للألفاظ العربية. فالغلو يستشري في كل مكان، والشعب يتيه فيه، فيظن اللفظة فكرة أو واقعاً، وتنشوه بذلك أحكامه.

ثم يقول الأستاذ : إن اللغة العربية في حاجة الى البساطة والحقيقة. وإن اللغة الحالية ما تزال لغة "البادشاه" الغابرين، لا لغة بلدان ديموقراطية فلها أن تسعى الى ذلك اذا كانت الأقطار العربية تريد الحياة.

ويختم الكاتب مقاله بهذه العبارة : إن المسألة ليست مسألة لغوية بل مسألة سياسية واجتماع. ومعلمو اللغة العربية الحقيقيون، السادة الحقيقيون، يدركون ذلك، وهم مع احترامهم للماضي، بدأوا يتكلمون في الحاضر لغة المستقبل.

بين اللغة والأسلوب

فنحن نبدأ فنأكد للأستاذ شيحا أن اللغة العربية ليست في حاجة الى البساطة والحقيقة والدقة، فهي في الأصل لغة الخيمة والبادية والغلو والتنميق والتعقيد. ليست من طبيعة الإعرابي ثم أنها لم تكن في يوم من الأيام لغة "البادشاه". فالسلاطين لم يكونوا يعرفون من العربية حتى مقدار ما يعرف منها الأستاذ شيحا. أما إذا كان يعني الخلفاء، فهؤلاء وكتابهم الذين عاشوا في القرون الوسطى كعبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ. فليتنا في هذه الأيام – حتى "السادة الحقيقيين" – نكتب مثلهم ايجازاً ودقةً ووضوحاً...

وعلى أي حال، فإن الأستاذ شيحا انتقد اللغة من حيث يريد أن ينتقد بعض الأساليب المتحدرة إلينا من عصور الإنحطاط. وبديهي أن الأسلوب يدلّ على الكاتب كما قال بوفون، والكاتب يمثل عقلية جيله وعصره. فليس للغة والحالة هذه أي صلة بالموضوع.

أي أن سبب تأخرنا في السياسة والإجتماع ليس اللغة العربية يا سيدي، ولا هي سبب من أسباب التأخر. وإذا كان هناك من يكتبون ويخطبون بأساليب لا ترضي الأستاذ شيحا وقد لا ترضينا، فالعلة في عقلية هؤلاء وفي ثقافتهم. أي أننا في حاجة الى أن نصبح ديموقراطيين لتصبح أساليبنا الكتابية ديمقراطية، والعكس مستحيل، لأن اللغة أداة تعبير لا مصنع تفكير...

ولقد قطع الإنكليز والفرنسيين والروس رؤوس ملوكهم وحققوا أكبر ثورات عرفها التاريخ دون أن يخطر لهم مس شعرة من رأس اللغة.